

وضعيات المتعلمين في ظل تعدد الاستقطابات اللغوية (إشكالات وحلول)

Educational positions in the light of multiple language polarizations (problematic and solutions)

الدكتور: سحواج امحمد

m.sahouadj@univ-chlef.dz

كلية الآداب والفنون

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر)

تاريخ القبول: 2019-02-10

الدكتور: عراب أحمد

ah.arab@univ-chlef.dz

كلية الآداب والفنون

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر)

تاريخ الإرسال: 2018-11-25

الملخص:

يشكل الوسط البيئي للطفل الجزائري المتعلم صدمة لغوية حادة، تتجلى معضلتها في اكتشافه لحدود لغته الخاصة المكتسبة من الوسط العائلي، والتي تمثل لغته الأولى، على خلاف لغة التعلم، أي اللغة الرسمية المنتظمة تحت صرامة القوانين الصرفية والتركيبية، وعلى أساس هذا التباين بين مستويات اللغتين أو اللغات (العامة) و(الفصحى) و(المحلية) ترتسم الحيرة على وجوه أطفالنا المتعلمين، وبالخصوص المبتدئين منهم، وتتعرض عليهم طرق الفهم والاستيعاب. وضروري في مثل هذا التشابك اللغوي المعقد الذي تنصهر فيه عدة لغات، تتداخل فيما بينها، ما بين لهجة محلية وعامية ولغة دخيلة وفصحى أن يظهر ضعف المتعلم في مساندة العملية التعليمية الهادفة، وفق قوانين وقواعد لا يجد لها حضورا في نماذج الكلامية اليومية خارج نطاق قاعات الدرس.

لذا تطمح هذه الورقة البحثية إلى مطارحة بعض القضايا الراهنة المتعلقة بظاهرة التداخل اللغوي، وأثره في تعطيل قدرة المتعلمين على اكتساب مهارات لغوية، أضحت بعيدة المرامي والمنال، نظرا لمزاحمة هذه اللغة من طرف لغات دخيلة رسمية وغير رسمية، تطرح إبدالاتها لتعويض النقص المسجل فيما يعانيه هؤلاء المتعلمون من ضعف وعجز.

الكلمات المفتاحية: وضعيات / تعليمية/المتعلم/مستويات/اللغة/النماذج/ مهارة

Summary:

The environmental milieu of the Algerian child is a severe linguistic shock, the dilemma of which is manifested in his discovery of the boundaries of his own language acquired from the family milieu, which represents his first language, unlike the language of learning, Any regular official language under the strictest of morphological and synthetic laws, and on the basis of this discrepancy between the levels of languages or languages (colloquial) and (vernacular) and (local) draw puzzling on the faces of our children, especially beginners, and the ways of understanding and assimilation.

It is necessary in such complex linguistic interlacing that several languages overlap between a local dialect, a dialect, an alien and a classical language that shows the weakness of the lesson in keeping up with the meaningful educational process, in accordance with laws and rules that do not have a presence in their daily verbal models outside the classroom.

This research paper therefore aspires to present some of the current issues related to the phenomenon of linguistic interference, and its effect in disrupting the ability of the pupils to acquire language skills, which have become far-reaching and elusive, as this language is being crowded by extraneous official and unofficial languages, which offer replacements to compensate for the shortfall The Registrar suffers from weakness and helplessness in the suffering of these children.

Keywords: positions / Educational / student/levels/language/skills

تقديم:

تجدد الملاحظة في بادئ الأمر إلى أنّ الطفل عندما يغادر البيت العائلي متجها إلى الروضة أو إلى المدرسة يتعرض إلى صدمة لغوية جامدة تتجلى في اكتشافه ضرورة تعديل لغته ... التي حملها معه من البيت إلى لغة شفوية أخرى ترتبط بأكثر من سبب بلغته الألفية¹ ، و مثل هذه الوضعية يعيشها الطفل الجزائري الذي ينشأ في وسط متعدد و معقد لغويا، حيث هذا الأخير تتفاعل فيه أكثر من لغة ، بما فيه من لغة عربية فصحي و لهجات محلية و لغات الأجنبية، فهو من خلال تروده على الرياض أو المدارس بنوعيتها العادي الرسمي و المدارس القرآنية في بعض الأحيان، يجد نفسه في وضعية لغوية حرجة، كون اللغة التي يستخدمها الطفل في هذه الأماكن أو الوضعيات بعيدة من حيث الاستعمال والتداول عن اللغة التي اكتسبها من البيت،

و عليه يضطر بذلك إلى الاحتكاك بطرائق جديدة في التعبير تسعفه على التواصل مع الوضعية التعليمية الجديدة، و بما أن كل القدرات والاستعدادات الفطرية الكامنة موجودة في الطفل، فإن ذلك كفيل بتحريره من تلك الوضعيات التعليمية غير الرسمية المهيمنة على نماذجه الكلامية، بالإضافة إلى مداوم الاستماع إلى النماذج الصالحة التي ترشد و تساعد في تحديد هذه المحاولة².

ليس من السهل على الطفل المتمدرس في ظل تعدد النماذج اللغوية المفروضة عليه، وبحكم المحاكاة وطبيعة حاجات التواصل وطبيعة النوازع المفضية إلى ذلك، أن يتفادى مشكلة ذلك التعدد اللغوي إلا عن طريق التعامل مع اللغة الفصيحة تعاملًا سليماً، يسمح له باستخدامها منطوقة و تأديتها أداءً حسناً، وذلك بممارسة جهاز النطق عنده على كفاءات الأداء الصحيح للغة، و يزيد استيعابه لقوانين اللغة مع التطبيق الفعلي لها، فالطفل الجزائري يستطيع الانتقال من اللهجة التي استعملها في المنزل إلى اكتساب اللغة العربية الفصيحة بالتجربة و محاولة الأداء الفعلي للكلام³، وبنجاعة طرق الاكتساب اللغوي .

الاكتساب اللغوي:

ترتبط ملكة اللغة بدورة العمر عند الكائن الحي ارتباطاً وثيقاً، حيث تغلب على الطفل ما قبل المدرسة مرحلة التقليد اللغوي، وهي مرحلة مهمة من مراحل الاكتساب اللغوي يستشعرها الطفل ويعي آثارها ونتائجها، بينما تبدأ مرحلة الاستقرار اللغوي في سن السادسة أو السابعة أو الثامنة، وبالأساس مع رسوخ العادات اللغوية في سن السادسة أو السابعة أو الثامنة، وظهور عوامل التقليد ممثلة في وضوح الإحساسات السمعية و القدرة على حفظ هذه الإحساسات و على تذكرها عند الحاجة إليها و فهمها و فهم معاني الكلمات ، و زيادة نشاط الطفل الحيوي الذي يتمثل في عزمه و إرادته و رغبته في الاشتراك في جلبة الحياة⁴.

يفضي بنا مفهوم الاكتساب اللغوي إلى تتبع "دراسة المراحل المختلفة التي يمر بها الطفل منذ لحظة الميلاد حتى يستطيع التحكم في لغة المجتمع الذي ولد فيه"،⁵ فالكسب لغة من اللغات ما هو إلا عملية فهم تلك اللغة ثم القدرة على استخدامها نطقاً و كتابةً ، فهو لا يعدو أن يكون مجرد عملية فهم و تعبير يرتبط بالاكتساب بهما معاً، حيث تعتبر

القدرة على تلفظ اللغة مهارة أساسية لفهمها،⁶ فهو من هذا القبيل جملة المهارات و القدرات اللغوية التي يكتسبها الطفل أثناء مراحل نموه المختلفة .

و قد دلت كثير من الدراسات التي أجريت في كثير من الأقطار أن مراحل تطور السلوك اللغوي واحدة بالنسبة لجميع الأطفال و لا تختلف مهما كانت اللغات التي يكتسبونها من المحيط⁷ إلا أن هذا التطور-تطور السلوك اللغوي - باعتبارها عملية مستمرة تنتج عن تفاعل مجموعتين مهمتين من العوامل هما:

- عامل النضج الذي يطلق على عمليات النمو التي تتخمس عن تغيرات منتظمة في سلوك الفرد.⁸
 - عامل التعلم الذي هو عملية اكتساب الوسائل المساعدة على إشباع الحاجات و الدوافع و تحقيق الأهداف.⁹
- ولاغرو إن قلنا إن العامل الثاني قد تتداخل فيه ظروف ومعطيات يتوقف عليها مردود التعلم سلبا وإيجابا، ولعل من أبرزها ظاهرة تعدد الوظائف التعليمية، والتي وإن رسخت فعل الكلام لدى الطفل العربي ونمت ملكته، وبالخصوص في مجتمعاتنا العربية ذات التعدد اللغوي، فإنها بالمقابل ستخفق في تكريس النموذج اللغوي الفصح أو الرسمي ، ذلك لأن أغلب الوظائف التعليمية وأكثرها تحفيزا على إنتاج النماذج الكلامية على تنوعها وتباينها متحررة من قيد المراقبة أو المتابعة، فهي عفوية من جهة ، ومرخصة بفعل اتساع تداولها من طرف أفراد المجتمع من جهة ثانية.

مراحل الاكتساب اللغوي:

تعد مرحلة اكتساب اللغة أمرا مهما جدا لفئة الأطفال، و لاسيما في مراحلها المبكرة، حيث يقدم الطفل بما توفر لديه من استعداد فطري على تعلم اللغة، وفق ما يساير نموه على تحقيق المهارة اللغوية المطلوبة، ولا يتسنى له ذلك دفعة واحدة، و إنما يحصل بالتدرج، وعلى مراحل من حياة الإنسان، و بالخصوص في السنوات الخمس المبكرة من عمره، و التي تشهد نموا لقدراته العقلية ، إلا أن هذه المراحل تبدو متداخلة و متصلة، و مهما بدا هذا التقسيم دقيقا، فإنه يصعب تمييز نهاية مرحلة عن بداية مرحلة أخرى.¹⁰ غير أن التقسيم العلمي يقترحها على النحو التالي:

مرحلة ما قبل اللغة: و هي مرحلة تمهيد و استعداد و تشمل ثلاث أطوار نذكرها بالترتيب:

طور الصراخ :

ينظر إلى صرخة الولادة على أنها استجابة للظروف الجديدة ، و هي بالتالي علامة انزعاج¹¹ ، و دلالة على أنه حي سليم، فصدور هذه الصرخة دليل على ذلك، ثم تتوالى هذه الحركات الصوتية حتى الشهر الرابع¹² ، و ليس لهذه العملية في بداية الأمر أي تفسير سيكولوجي لأنها عملية فيزيولوجية محضة، وذلك لأن وظيفتها في هذه المرحلة هي التنفس، و لا تتجاوز كونها فعلا منعكسا مثيرا و اندفاعا للهواء من الرئتين فحسب، ولعل الاستجابة لهذا المثير الخارجي تكمن في تلك الأصوات التي يحدثها الرضيع، و تمثل هذه العملية أول خطوة نحو إدراك الأصوات لها أثرها إيجابي في تطور اللغة عند الطفل.¹³

طور التقليد و الاستجابة اللغوية :

يستجيب الرضيع للأصوات البشرية المحيطة به فيما بين الشهر الثاني و الثامن لبدء ميلاده ، فيصبح معبرا عن سروره أو عن رضاه، ثم يتطور به الأمر، فيقلد الأصوات التي يلتقطها سمعه، مما يدفعه هذا التقليد إلى إجادة الاستماع و الإصغاء و الانتباه إلى كل صوت يقع على أذنيه، وإجادته لهذه المهارة الجديدة يكون بين الشهر الثامن و العاشر، و يستجيب للتحية بامتياز في ما بين الشهر التاسع و نهاية السنة الأولى.¹⁴

كما يبدأ بالمقارنة بين الأصوات التي يتلفظ بها و الأصوات التي يسمعها من غيره، وخصوصا من المقربين إليه (الأم أو المربية)، فيكتشف علاقة التشابه بين ما يتلفظ به هو، و ما يسمعه من أمه مثلا، ونتيجة لتلك التجربة يظهر سعادته بهذا الاستكشاف الذي يعد تعزيزا آخر لقدراته التلفظية ، فيسعى إلى الربط بين أصواته و أصوات محيطه، و بهذا العمل ينتقل من مرحلة التقليد الذاتي (سماع أصواته) إلى مرحلة (التقليد الموضوعي) عن طريق سماع أصوات الآخرين ،¹⁵ و قد لوحظ أن الطفل في هذه المرحلة يكون قادرا على تعلم أسماء الأشياء و التلفظ بها.

أثر وضعيات التعلم على الطفل ودورها في اكتساب اللغة:

يتفاعل الطفل الجزائري كغيره من الأطفال داخل الأسرة و خارجها مع سلوكيات و وضعيات تعليمية مختلفة تكفل له نموه العاطفي و اللغوي معا، فعن طريق وضعية القص ووضعية اللعب مثلا يخلص خيال الطفل، و تستثار فيه سلوكيات لغوية استجابة لحاجاته النفسية، وعن طريق التلفزيون وباقي الوسائط التعليمية و الكتاب، تفتح أمام الطفل آفاق محادثاته لأنماط من الكلام يتنوع الوضعية التعليمية الممارسة، وعلى أساس نسبة تعرض الطفل الجزائري لهذه الوضعيات، و نسبة تأثيرها عليه، وعلى أساس اختلاف الوضع الاجتماعي و الاقتصادي و الثقافي للأسرة تقاس نسبة النجاح أو الإخفاق.

وضعية القص:

تعد الحكاية المشفوهة وضعية تعليمية ذات كفاءة ناجعة في ترسيخ النماذج الكلامية سواء ما كان منها بلسان فصيح أو عامي، وهي بوصفها وسيلة ترفيهية، تكتسي مكانة بارزة في المجتمع الجزائري مقارنة بالألغاز الشعبية و البوقالة والأحجية، وبناء على دورها في بعث شعور الارتقاء عن طريق ملكة الإصغاء يفضلها الأولياء و يختارها الأطفال على اختلاف ظروفهم الاجتماعية ومؤهلاتهم اللغوية لما تودعه فيهم من شعور بالغبطة أثناء متابعتهم لفصول الحكاية، وهم مشدودون لطريقة الحكوي و لبراعة الحكواتي الذي عادة ما يكون أحد أفراد الأسرة، و في كثير من الأحيان يتكفل الجد أو الجدة بروايتها نظرا لتعب الوالدين من العمل ، و مشاغل الحياة داخل البيت و خارجه، فالأجداد "يعتبرون مربي الأطفال قليلي التكاليف يقومون بحراسة الحفيد، لكنهم على عكس ذلك متحدثون بارعون يتميزون بالخبرة و الإمام باللغة".¹⁶

و تعد ليالي الشتاء الطويلة و سهرات شهر رمضان أكثر الفترات التي يطلب فيها الأطفال رواية حكاية، حيث يلتفون حول أحد الكبار، و هم متشوقون لسماع حكايات، كثيرا ما تستمد من نسج الخيال، فهي تتحدث في أغلبها عن الغول، و عن القدرات الخارقة، و تصور الصراع بين قوتي : الخير و الشر، و بين قيم الصدق و الكذب، و بهذا فإن

الحكاية ليست وسيلة تواصل تنمي لغة الطفل فحسب ، بل وسيلة تربية أيضا، و نظرا لهذه الخصائص تمكنت من الصمود طويلا في المجتمع الجزائري ، و لم يكتب لها الاندثار على الرغم من منافسة العديد من الوسائل لها، بالإضافة إلى خاصية اللغة العامية التي تستمد منها عنصر الإثارة ، فالملاحظ أن قدرة الأطفال على تقمص دور الحكواتي وتقليد سلوك الجد أو الجدة في طرق الحكيم تكون بالعامية أسهل منها بالفصحى، وهو ما يعيق عملية التحكم في اللغة المنطوقة وفق القواعد اللغوية السليمة.

وضعية اللعب :

يعتبر اللعب بما يوفره من متعة و من تنفيس ، حاجة طبيعية للطفل ، و قد شغلت الدوافع إليه بال الكثير من الباحثين ، فصاغوا نظريات مختلفة بشأنها ، فذهب بعضهم إلى أنّ الطفل يلجأ إليه نظرا لحاجته إلى التحرر من فائض في الحيوية و النشاط ، و قال بعضهم إنّ الطفل يبدي بواسطة اللعب الحاجة إلى تمثيل دور ما أو إطلاق العنان لمخيلته .
مهما تكن دوافع الطفل إلى اللعب ، فإنّ الباحثين و علماء النفس يؤكدون أهميته و دوره في التنمية الفكرية و اللغوية و الاجتماعية له ، إذ يرى **بياجي (piaget)** أنّ اللعب الأكثر بساطة هو عامل تطور معرفي و لغوي ذو وجهين : انفعالي وتواصلية ، و يرى أيضا أنّ اللعب مؤشر دال على وجود نشاط عقلي عند الطفل ، و لهذا يطلق على اللعب في مرحلة الطفولة الأولى اسم اللعب الرمزي .¹⁷

أكد **جيروم برونو (j/bruner)** عند دراسته لكيفية تعلم الأطفال استعمال الكلام ، و دور اللعب في النمو اللغوي للطفل ، إذ لاحظ أنّ تعلم اللغة الأم يكون أسرع إذا ما اندرج في سياق لعي .¹⁸ و بهذا قد يكون لظهور الأشكال الصرفية و النحوية الأولى لدى الطفل، علاقة بوضعية ما من وضعيات اللعب المحببة لديه، فبعض الأطفال يتوصلون -وهم يلعبون - إلى استعمال صيغ كلامية معقدة ، و يستشهد الباحث بإحدى أوائل استعمالات الشرط عند الطفل في الثالثة من العمر .

في الجملة نخلص إلى أنّ: **الأوضاع اللعبية** هي بصورة عامة الأوضاع التي يختبر فيها الطفل للمرة الأولى ملفوظات معقدة، ذلك "أنّ في اللعب عنصرا يشجع بوجه العموم النشاط التركيبي، و بالأخص هذا النشاط التركيبي اللغوي ، بالمعنى الصحيح الذي يدخل في صياغة العبارات الأكثر تعقيدا".¹⁹

تمكن أهمية اللعبة اللغوية أيضا في الحوار الذي يقوم بين الأطفال و هم يلعبون ، فكثيرا ما نرى و نسمع الفتيات و هنّ يقلدن -أثناءه- أمهاتهن في علاقاتهن الاجتماعية و في أداء وظائفهن المنزلية، فيبينن بيتا بواسطة غطاء يمددنه بين الكراسي ، و يفرشن الأرض و يحضرن علبا يعتبرون إحداها ثلاجة و الأخرى تلفزة ... و تزور الواحدة منهن الأخرى ، فيعدن بذلك سيناريو للحياة المنزلية بدقة و فن مدهشين ، إذ كلّما زارت الواحدة الأخرى تسألها: هل تشربين شايًا أم مشروبا آخر؟ و بعد أن تؤدي واجب الضيافة ، تطلب منها العذر لأنّها تسمع صغيرتها تبكي أو لأنّ جرس الهاتف يرن ، ففي الحالة الأولى تحضر دميته و تغير لها الملابس و ترضعها ، و تشرع في الحديث عن مشاكل تربية الأطفال ، و في الثانية تأخذ ما تعتبره سماعة هاتف و تنساق في حديث مع قريبتها أو صديقتها المتصلة بها عن مشاغل الحياة ، و هكذا

يدوم الحوار بين الفتيات و همّ يلعبن ساعات طويلة من اليوم ، و يكون له الدور الفعّال في تنمية الفكر و اللغة و الخيال ، و في تطوير علاقتهن الاجتماعية ، و بهذا يمكن القول إنّ اللعب ليس مجرد نشاط طفولي وحسب، بل هو للولد كما للراشد طريقة لاستعمال ذكائه، وهو زيادة على ذلك أداة اختبار دفيئة يمكن أن تختبر فيها وسائل التنسيق بين الفكر، و الكلام و الخيال .²⁰

إن الإشكال والحال هذا لا يكمن في اللعب بوصفه نشاطا إنسانيا، يوقظ في الطفل رغبة الكلام ، وإنما في طريقة أداء الكلام ، وطبيعة لغة الكلام ، فعادة ما تتداخل نماذج كلامية بأكثر من لغة ولهجة في لعبة واحدة، ولنا أن نقيس على مستوى عدد الألعاب، التي ما تزال محتفظة بأسمائها الأجنبية أو اللهجية أو العامية، ونحن إذ نقر بنجاحاتها في كسر عزلة الطفل وعزوفه عن الكلام، فإننا بالمقابل نطمح إلى جعلها وسيلة تقرب الطفل من لغته الفصحى، وذلك بتحفيز الأطفال على ممارستها وفق ما يرادفها في لغتنا العربية.

وضعية المشاهدة والإصغاء (التلفزيون):

يعتبر التلفزيون جهازا يجمع بين الحاسة السمعية و الصورة المرئية ، مما يزيد قوة التأثير لاستغلاله لحاستين نشطتين من حواس الأطفال ، و رغم أنّ الوسائل التعليمية تنوع بين سمعية و بصرية ، إلاّ أنه من المعروف أنّ الوسيلة الإيضاحية التي تعتمد على أكثر من حاسة من حواس الطفل يكون أثرها التعليمي أكثر جدوى و أكثر عمقا من الوسيلة التي تعتمد على حاسة واحدة فقط ، فالصورة تزيد من مدى وضوح الكلمة، و مدى فهم معناها، كما أنّ الكلمة توضح ما تتضمنه الصورة من أفكار و معان ، مما يساعد في النهاية على سهولة استيعاب الرسالة الموجهة للطفل.²¹

بهذا يعتبر التلفزيون وضعية تعليمية ترفيهية الأكثر انتشارا في الأسر الجزائرية و الأكثر استقطابا للأطفال ، إذ تسترعي اهتمامهم في سن مبكرة ، و لو لوقت قصير يلتقطون فيه ألقانا أو صورا أو كلمات ، فقد أكدت الدراسات أنّ أول اتصال بين الطفل و التلفزيون يكون في سن الثانية عندما ينصت مصادفة لبرنامج يستمع إليه الكبار و يشاهدونه، ثم سرعان ما يشرع في الاستطلاع عن عالم التلفزيون ، فينتقي برنامجه الخاص ، و حينما يصل إلى سن الثالثة يتعلّق تعلقا شديدا ببرامج الأطفال و خصوصا منها : الرسوم المتحركة لما تعرضه من حيوانات و طيور و دمي و ألعاب .²²

على هذا الأساس يزداد تعلق الطفل بأفلام المغامرات، ويزداد معه الانفتاح على مشاهدة برامج الكبار مما يفتح بصيرته على واقع لغوي جديد يستقطبه بتنوعه نماذجه اللغوية المتداخلة، ما بين عربي محلي وفصيح ، أجنبي غريب، و يصير التلفزيون بذلك وسيلة التسلية التي يقضي الطفل برفقتها ساعات طويلة ، و في هذا الصدد تشير الدراسات إلى أنّ الأطفال الأمريكيين الذين هم دون الخامسة يقضون ثلاثين ساعة أمام التلفزة أسبوعيا ، في حين يقضي الأطفال في بريطانيا و اليابان ما بين 12 إلى 24 ساعة في مشاهدته أسبوعيا ، أمّا الأطفال العرب فإن أوقات المشاهدة لديهم تتراوح بين ساعتين و نصف و ثلاث ساعات و نصف يوميا²³ ، وهي في نظرنا كافية لإحداث قفزة نوعية نحو تجاوز عقدة الطفل على محاكاة اللغة النموذجية لبطله التلفزيوني النموذجي ، وهو النجاح الذي تردد صداه من خلال بث أفلام ناجحة كفيلم الرسالة ، وقصص أبطال شعراء العرب ، كالشنفرى وعنترة وغيرهما.

أمام إقبال الأطفال الكبير على مشاهدة التلفزيون ، دقّ بعض الباحثين ناقوس الخطر نظرا للتأثير السلبي الذي يمكن أن ينجم عن ملازمة الطفل له ، فقد أثارت الباحثة الفرنسية ميريال شالفون (MIRIELL CHALVON) هذا الخطر ، ذاهبة إلى أنّ الأطفال و إنّ تيسر لهم برامج تلفزيونية بفضل الإشارات و الملامح، فإنّهم يعجزون عن التعبير عنها لفظيا ، و يعود ذلك إلى أنّ اللغة تتطلب الانتقال من المحسوس إلى المجرد ، و من الموضوع إلى الفهم .²⁴

الحاصل أنّ التلفزيون الجزائري قد يلعب دورا كبيرا في إمداد الطفل بالمعارف وفي تطوير لغته، و ذلك إن خضع لترشيد أسري في الاستعمال، و لتخطيط واع من قبل القائمين عليه، يتجلى دور الأسرة في تنظيم أوقات المشاهدة لدى الطفل ، و في انتقاء و مراقبة البرامج التي يشاهدها ، خاصة و أنّه لم يعد عرضه مقصورا على ما تبثه القناة الوطنية من برامج فحسب ، بل أصبح يلتقط برامج قنوات أخرى عربية و أجنبية عن طريق الهوائيات المقنّرة التي غزت معظم المنازل الجزائرية²⁵ ، الأمر الذي ولد لدى الطفل فضولا متزايدا وتعطشا محموما صوب ما تعرضه قنوات أخرى وبلغات كانت بالأمس القريب لا يفقه عنها شيئا ، لتغدو في وقت قصير، وبفضل التلفاز البديل المرتقب عن لغته العربية.

وضعية القراءة(الكتاب):

للكتاب على الطفل تأثير في سن مبكرة، و خاصة الكتاب المصور، لذا أشارت الدراسات إلى أنّ الطفل في شهره الثامن عشر، أو ما قبل ذلك بقليل، يستهويه تصفح الكتاب و العبث بأوراقه وصوره التي تشكل لعبة مسلية في نظره أول الأمر، ثم ما يلبث أن يتضح دورها الفعّال في مساعدة الطفل في تفسير الأشياء التي حوله، و تعتبر هذه الصور بمثابة "حلقة وصل بين خبرة الطفل اليومية و الفعلية، و بين قراءة الكتب."²⁶

هذا يعني أنّ خبرة الطفل مرتبطة بالصور الموجودة في الكتاب، كما أنّ الكتاب يعطي فرصة لتعلم الطفل القراءة تدريجيا، لكن رغم أهمية الكتاب، إلا أنّ الطفل الجزائري لم يعد يعطي أي أهمية للكتاب نظرا لهيمنة وسائل الترفيه الأخرى، و المنافسة القوية التي أبدتها الوسائط التعليمية المنتشرة كفضاء الأنترنت.

الشعر:

يؤكد الدارسون أن الأطفال يتذوقون الشعر و الأدب منذ نعومة أظافرهم ، وذلك اعتمادا على شواهد مختلفة ، حيث كانت المرأة العربية قديما تسكت ابنها "صغيرها" متغنية بأبيات من بحر الرجز، فهي تستطيع تحقيق مبتغاها بذلك ، فسرعان ما يسكت الطفل بعد بكاء أو ينام بعد ألم ، و لا يزال هذا مستمرا في أيامنا، حيث تنوم الأم طفلها على كلمات مسجوعة موزونة ، و يضاف إلى ما ذكرنا حسن استماع ، و فنية ترديدهم لبعض إعلانات الإذاعة و التلفزيون ذات الإيقاع الحسن ، و كذا شغفهم بالأناشيد و حفظها بسرعة و ترديدها .²⁷

خلاصة القول إن هذه الوسائل الترفيهية و التثقيفية ساعدت الطفل على اكتساب و تعلم اللغة و تنمية رصيده اللغوي، و ذلك لتحقيق المتعة و السرور، و بناء قدرات خيالية واسعة تمكنه من أن يتواصل مع وسطه الداخلي (أسرته)،

أو مع وسطه الخارجي (المدرسة و المجتمع)، كما شوشت عليه الرؤية، حيث لم يهتدي إلى لغة سليمة نقية من شوائب العامية والدخيل .

المسرح:

يمثل مسرح الطفل البهجة المتصلة، التي تملأ نفوس الأطفال عند عرض المواقف الدرامية و الفكاهية عليهم، بهدف تلقين الطفل قيم المجتمع، سواء أكانت سلوكية أم خلقية أم دينية أم اجتماعية، و هو بهذا المعنى لا يخلو من إثارة تقدّم للطفل عن طريق النموذج الجيد في شكل في يسلي الطفل.²⁸

وضعية التعليم الرسمية (المؤسسات التربوية):

الروضة:

يعد رياض الأطفال من أهم نتائج حركة الاهتمام بالطفولة، ودراسة حاجاته المختلفة من لغوية و انفعالية و اجتماعية، فمن خلال السنوات الأولى، و التي هي مرحلة جوهرية اجتهدت رياض الأطفال على توفير البيئة الغنية بهذه المثيرات، لتعرضها بديلا مكتملا لدور الأسرة، فمهما بلغ المستوى الاجتماعي والثقافي للعائلات منزلة، فإنها غير مجهزة بكيفية مرضية تماما لمواجهة الحاجيات و المتطلبات التي يملئها تطور و تفتح الطفل الصغير، ذلك أنّ الساعات التي يقضيها الطفل في الروضة نافعة تماما.²⁹ و هي بهذا لا تقوم مقام العائلة، و لكنها تقدّم للطفل تجربة أخرى ثرية، فقد أكّدت الدراسات المختلفة دورها البارز في تنمية ذكاء و لغة الطفل باعتبارها أول اتصال اجتماعي حقيقي و منظم للطفل بالعالم الخارجي.³⁰

لا ينبغي الاعتداد بهذه التجربة ووسمها بالتفرد والنجاح، فكثير من الأطفال يمتعضون منها وبيدون مقاومة و تعنتا في الإعراض عنها، غير أننا من وجهة تربوية نقر أنّها تكسب الطفل عادة كلامية جريئة تمهد له الطريق لاقتحام عالم المدرسة بكل شجاعة وإقدام .

المدرسة:

يتجه بعضة أطفال الرابعة و الخامسة إلى المدرسة القرآنية و إلى المساجد، حيث يتلقون دروسا في كتابة و قراءة بعض الكلمات و يحفظون بعض سور القرآن و الأناشيد، و ما من شك في أنّ لذلك تأثيرا على نموهم اللغوي، إلا أنّنا لا نستطيع تقديره نظرا لافتقار ميدان البحث إلى دراسات تتعلق بتأثير المدرسة القرآنية على لغة الطفل.³¹

الإحالات والهوامش

- ¹ - عباس الصوري: في بيداغوجية اللغة العربية (البحث في الأصول)، مطبعة النجاح، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1988، ص22.
- ² - حفيظة تازوي: اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري، دار القسبة للنشر، الجزائر، د.ط، 2003، ص17.
- ³ - كمال بشر: فن الكلام، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ط2003، ص66.
- ⁴ - ينظر وافي علي عبد الواحد: نشأة اللغة عند الإنسان و الطفل، مكتبة غريب، القاهرة، 1971، ص214.
- ⁵ - حلمي خليل: دراسات في اللسانيات، دار المعرفة الجامعية، 2005، ص120.
- ⁶ أبو السعود أحمد الفخراني: تطور اللغة الربط بين و اللغة و الفكر و الصوت اللغوي، جامعة الأزهر، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، (2001) ص139.

- 7 حنفي بن عيسى : محاضرات في علم النفس اللغوي ، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر ص127.
- 8 عبد المنعم المليحي: النفسي النمو ، ط9 ، 2006 ، دار النهضة العربية ، لبنان ط3، دت ، ص81.
- 9 صالح بلعيد: دروس في اللسانيات التطبيقية ، ، دار هومة ، الجزائر ط2009، ص4، ص55.
- 10 ينظر حسين عبد الحميد أحمد رشوان: الطفل في علم الاجتماع النفسي، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية مصر ، د ط ، 2000، ص64.
- 11 شحادة فارح ، و آخرون: مقدمة في اللغويات المعاصرة دار وائل للنشر و التوزيع ، عمان الأردن ط2006، ص222.
- 12 رضوان قذلي :علم نفس النمو (الطفولة و المراهقة) ، الإسكندرية مصر ط2، ص246.
- 13- ينظر أحمد حساني: دراسات في اللسانيات التطبيقية ،حقل تعليمية اللغات -، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، ط2 2009 ص45.
- 14 زين كامل الخويسكي : لسانيات من اللسانيات ، كلية التربية ، جامعة الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ص171.
- 15 أحمد حساني: دراسات في اللسانيات التطبيقية ، حقل تعليمية اللغات، مرجع سابق ، ص110.
- 16 حفيظة تازوتي: اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري، مرجع سابق ، ص18.
- 17 ينظر: جان بياجي : اللغة و الفكر عند الطفل ، تر: أحمد عزة راجح ، مكتبة النهضة المصرية الاهرة ، ط1954، ص1، ص36.
- 18 جيروم برونير: اللعب و الفكر و الكلام ، في مجلة مستقبلات ، اليونسكو ، لبنان ، المجلد16، العدد57، 1956، ص81.
- 19 المرجع نفسه ، ص81.
- 20 المرجع نفسه ، ص84.
- 21 - سليمان شحاتة : تنشئة الطفل و حاجاته بين الواقع و المأمول، دار الفتح للتجليد الفني الإسكندرية، كلية رياض الأطفال، جامعة القاهرة (د.ط) 2008، ص45-46 .
- 22 سامية أحمد علي: الدراما التلفزيونية و تنشئة الطفل العربي، مجلة التربية، قطر، العدد 102، سبتمبر 1992، ص243.
- 23 -محمد الطالب الدويك : التلفزيون و أثره على طفلنا الخليجي ، مجلة التربية ، قطر ، العدد75، يناير 1987، ص36.
- 24 حفيظة تازوتي : اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري ، مرجع سابق ، ص23.
- 25 المرجع نفسه ، ص27.
- 26 المرجع نفسه، ص28.
- 27 محمد مرتاض: من قضايا أدب الأطفال ، دراسة تاريخية فنية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، (د،ط)، 1994، ص41.
- 28 هدى محمد قناوي : الطفل تنشئته و حاجاته ،الأجلو المصرية ، القاهرة ،(د.ط)،1988، ص80.
- 29 ينظرحفيظة تازوتي : المرجع السابق ، ص36.
- 30 هدى الناشف: رياض الأطفال، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1995، ص52.
- 31- حفيظة تازوتي : المرجع السابق، ص39.